



احفظ لسانك



رسالة في تعظيم الله والدين، والتحذير من السب واللعن والاستهزاء وألفاظ الكفر

إعداد الدكتور عبد الباري بن محمد خلة

دكتوراه في الفقه المقارن

محتويات الرسالة

مقدمة

الرسالة الأولى: تعظيم الله تعالى، وحفظ اللسان من ألفاظ الكفر والاستهزاء

الرسالة الثانية: حكم اللعن وصوره

الرسالة الثالثة: أسئلة مهمة في حكم سب الذات الإلهية والدين والملة

الرسالة الرابعة: الاعتراض على قدر الله، والاستهزاء بالدين

الرسالة الخامسة: رسائل عملية للفرد والأسرة ولأصحاب المجموعات الإلكترونية

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فاللسان من أجل النعم التي أنعمها الله على عباده، فرغم صغر حجمه، فإن أثره كبير، خيرًا وشرًا، طاعةً وإثمًا، فالواجب على المسلم أن يقدر هذه النعمة، وأن يغتنمها في طاعته سبحانه وتعالى، وأن ينأى بها عن معصيته؛ فهذا من شكر النعمة.

واعتنى الإسلام بالحث على حفظ اللسان وصونه، قال الله تعالى:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

وحذّر النبي صلى الله عليه وسلم من خطورته، فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه:

«... أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتَ أَثْمَكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». [الترمذي، صحيح:

[٢٦١٦]

وإن أبشع إساءة للمرء أن يستخدم لسانه في سب الله أو الدين أو الشعائر، فهذا لعمري كفران للنعمة وجحود للمنع سبحانه.

ومع انتشار مواقع التواصل الحديثة، ظهرت صور جديدة، لاستخدام اللسان والكلمة في السبِّ والشتيم واللعن، ونحو ذلك، مما فيه إغضاب للمولى سبحانه وتعالى، فكانت الحاجة ملحة إلى إخراج هذه الرسالة؛ تذكيراً ببعض الأحكام الفقهية، وتوجيهاً إلى جملة من الآداب والرسائل الدعوية العملية المتعلقة بحفظ اللسان وتعظيم الله تعالى والدين، والتحذير من السب واللعن والاستهزاء وألفاظ الكفر، سائلاً المولى سبحانه أن يكتب لها النفع والهداية، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

الرسالة الأولى: تعظيم الله تعالى، وحفظ اللسان من ألفاظ الكفر والاستهزاء

فتعظيمُ الله تعالى هو أن يمتلئ القلبُ بمعرفة جلاله وكماله وعظمته، ومحبته وخشيته، وأن يظهر ذلك على اللسان والجوارح؛ فيطاع أمره، وتُجتنب معصيته، وتُحترم أسماؤه وصفاته وشرائعه وشعائره.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]

فتعظيم الله ليس مجرد كلمة تُقال، بل هو صور متعددة تتجلى فيما يأتي:

- ♦ تعظيم في القلب: بالإيمان والخوف والمحبة والرجاء.
 - ♦ تعظيم في اللسان: بالذكر والثناء، وعدم التلفظ بما لا يليق.
 - ♦ تعظيم في العمل: بالطاعة، وترك المعصية.
 - ♦ تعظيم عند الغضب: بكفِّ اللسان عن السب واللعن والكفر.
 - ♦ تعظيم في المزاح: بعدم اتخاذ الدين أو ألفاظ الكفر مادةً للضحك.
- ومن أعظم علامات تعظيم الله أن يستحيي الإنسان أن يسمعه الله وهو يسبه أو يسب دينه، أو أن يراه مستهزئًا بشعائره.

آثار تعظيم الله على الفرد والأسرة والمجتمع

◆ أولاً: آثاره على الفرد

إذا عَظَّمَ الإنسان رَبَّهُ: حفظ لسانَه عند الغضب، وراقب الله في السر والعلن، وهانت عليه شهواته أمام أمر الله، وصبر على البلاء، ولم يعترض على حكمة الله، واستقام سلوكه؛ لأنه يعلم أن الله يسمعه ويراه، وتاب سريعاً إذا أذنب، ولم يصِرَّ على المعصية.

أمَّا ضعفُ تعظيم الله، فمن علاماته أن يصبح سبُّ الدين أو إطلاق ألفاظ الكفر أمراً عادياً عند الإنسان، ثم يذهب إلى الصلاة كأن شيئاً لم يقع.

◆ ثانياً: آثاره على الأسرة

الأسرة التي تعظم الله: لا يسمع أطفالها سبَّ الدين والرب في البيت، ويتعلم أبنائها ضبط الغضب، وتُصان فيها المقدسات من المزاح والاستهزاء، ويُرى الأبناء على أن أسماء الله وآياته وشعائره ليست مجالاً للعب، ويسارع الوالدان إلى تصحيح الألفاظ المنكرة، بدل الضحك عليها أو السكوت عنها.

أما إذا اعتاد الطفل سماع أبيه أو إخوته يسبون الدين عند كل مشكلة، فقد ينشأ وهو يظن أن ذلك مجرد عادة لا علاقة لها بالإيمان.

◆ ثالثاً: آثاره على المجتمع

تعظيم الله يؤدي إلى: حفظ الحرمات والمقدسات، وتقليل السب واللعن والعنف اللفظي، ونشر الرحمة والأمان الأخلاقي، ومقاومة السخرية من الدين وأهله، واحترام المساجد والقرآن والعلماء والشعائر، ومنع انتشار ألفاظ الردة على السنة الناس.

والمجتمع الذي تُستهان فيه ألفاظ الكفر، قد ينتقل فيه المنكر من كونه مستنكرًا إلى أن يصبح عادةً، ثم مزاحًا، ثم يفقد الناس خطورته.

كيف يظهر تعظيم الله في الأقوال والأعمال؟

◆ في الأقوال

يظهر تعظيم الله في: ذكر الله بأدب وخشوع، وعدم الحلف بالله كذبًا، وعدم استعمال اسم الله في المزاح السخيف، وعدم سب الدين أو الرب أو القرآن أو الأنبياء، وعدم الاعتراض على الله بعبارات السخط، وعدم إطلاق ألفاظ الكفر بقصد الضحك أو التخويف، وعدم المشاركة في مجموعة يُستهزأ فيها بالدين دون إنكار.

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ

لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [البخاري: ٦٤٧٨]

◆ في الأعمال

يظهر تعظيم الله في: المحافظة على الصلاة، وترك الحرام ولو خالف الهوى، وتوقير القرآن وعدم امتهانه، واحترام المساجد، وتعظيم أحكام الشريعة، والتوبة الصادقة بعد الذنب، وإنكار الاستهزاء بالدين بحسب

الاستطاعة، وإنكار المنشورات والتعليقات التي تتضمن سبًا أو كفرًا من المجموعات التي يديرها الإنسان وحذفها إن كان قادرًا على ذلك.

الرسالة الثانية: حكم اللعن وصوره

◆ أولاً: اللعن وحكمه

اللعن معناه الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وليس كلمة هينة يجربها المرء على لسانه.

والأصل أن المسلم ليس لعناً، ولا ينبغي أن يعتاد لعن الناس والأشياء، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» [الترمذي، صحيح: ١٩٧٧]

وإذا لم يصادف اللعن محلاً مستحقاً، كان قائله على خطر، وقد نص أهل العلم على حرمة لعن ما لا يستحق اللعن، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَسَاحًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» [أبو داود، حسن: ٤٩٠٥]

◆ ثانياً: من صور اللعن المحرمة

١. لعن الوالدين.

٢. لعن الزوجة والأبناء.

٣. لعن الناس بأعيانهم.

٤. لعن اليوم أو الساعة بسبب مصيبة.

٥. لعن الحياة والزمان اعتراضاً على القدر.

٦. لعن الخالق سبحانه وتعالى، وهو من أشد اللعن وأقبحه.

وينبغي للمسلم عند الغضب أن يستبدل ذلك بألفاظ الدعاء المشروعة، مثل:

١. «حسبي الله ونعم الوكيل».

٢. «أصلحك الله».

٣. «هداك الله».

٤. «أعوذ بالله من الشيطان».

٥. «إنا لله وإنا إليه راجعون».

◆ ثالثاً: كيفية التوبة من السب واللعن؟

من وقع في هذه الكبيرة، فعليه فوراً أن:

١. يتوقف عن الكلام المحرم.

٢. يندم ندمًا صادقاً.

٣. يعزم على عدم العودة.

٤. يستغفر الله.

٥. يحافظ على الصلاة.

٦. يبتعد عن أسباب الغضب.

٧. يطلب العلم في هذا الباب.

٨. يستسمح من آذاهم إن كان في كلامه أذى لهم.

وباب التوبة مفتوح ما دام الإنسان حيًّا، لكن لا يجوز له أن يتكل على التوبة، فيكرر الجريمة كلما غضب.

الرسالة الثالثة: أسئلة مهمة في حكم سب الذات الإلهية والدين والملة

السؤال الأول: ما حكم سب الذات الإلهية، وهل يرتد بذلك؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فسبُّ الله سبحانه وتعالى من أقبح الأقوال وأعظمها جرماً، وهو في نفسه كفر أكبر ردة عن الإسلام إذا صدر من شخص عاقل بالغ مختار مدرك لما يقول غير فاقد للوعي.

ولا فرق في أصل الحكم بين أن يقوله جاداً أو مازحاً؛ لأن المزاح ليس عذراً في الاستهزاء بالله والدين.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

ونصَّ أهل العلم على أن سبَّ الرب أو الله أو الملة أو سبَّ دين الإسلام من نواقض الإسلام إذا صدر عن إدراك واختيار.

◆ وهل الغضب عذر؟

الغضب وحده ليس عذراً؛ لأن معظم السبِّ والشتيم يقع حال الغضب، وله حالتان:

◆ أن يكون غاضباً يعرف من أمامه، ويفهم ما يقول، ويتذكر كلامه؛ فهذا مؤاخذ بكلامه.

❖ أن يبلغ الغضب به حدًّا يزول معه عقله وإدراكه تمامًا، فلا يعلم ما يقول، فهذا في حكم فاقد

العقل، ولا يترتب على عبارته حكم؛ لأن مناط التكليف هو العقل.

وليس المقصود بزوال العقل مجرد قوله بعد ذلك: «كنت غاضبًا»، بل لا بد أن يكون قد فقد

الإدراك فعلاً، بحيث لا يعي ما يقول.

والله أعلى وأعلم

السؤال الثاني: ما حكم من يسب الدين أو الرب، ثم يدخل الصلاة كأن شيئاً لم يحدث؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فمجرد الدخول في الصلاة بعد السب لا يكفي لمعالجة ما وقع فيه السابُّ، ولا ينبغي أن يتعامل معه

كأنه ذنب عادي.

فالواجب عليه أن:

١. يتوقف عن السب.

٢. يندم ندماً صادقاً.

٣. ينطق بالشهادتين تحديداً لإسلامه.

٤. يكثر من الاستغفار والعمل الصالح.

٥. يعزم على عدم العودة.

٦. يحافظ على الصلاة.

٧. يبتعد عن أسباب الغضب.

٨. يطلب العلم في هذا الباب.

وإن كان متزوجاً فيوقف عقد نكاحه، فإن تاب قبل انقضاء العدة، فيبقى الزواج صحيحاً، وإذا انقضت العدة من غير توبة، بانت منه زوجته، فإن تاب ورجع إلى الإسلام بعد ذلك عقد على زوجته من جديد.

ولا يجوز أن يئأس من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح ما دام حيّاً، لكن لا يجوز له أن يتكل على التوبة، فيكرر الجريمة كلما غضب.

ولا ينبغي أن يقال له: لا تصل؛ بل يقال له: تُب إلى الله فوراً، وانطق بالشهادتين، وحافظ على الصلاة؛ لأن ترك الصلاة يزيد الأمر سوءاً.

والله يقبل توبة عبده مهما عظم الذنب:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]

والله أعلى وأعلم

السؤال الثالث: ما حكم من مات وهو يكفر؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فمن ثبت ييقين أنه مات على الكفر، بعد قيام الحجة عليه، ولم يتب، فهو كافر مرتد عن الإسلام:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة:

١٦١]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]

كما أنه لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين.

والله أعلى وأعلم

السؤال الرابع: يقول شخص في الشَّجَار: «لا تجعلني أكفر أو أسب»، فما حكم ذلك؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه العبارة في ذاتها ليست سباً لله، ولا يحكم على قائلها بالكفر بمجرد التلفظ بها؛ لأنه لم يسب، ولم يصرح بالكفر.

لكنها عبارة محرمة وخطيرة من جهات: ففيها تهديد باستعمال ألفاظ الكفر، وفيها استهانة بأعظم الذنوب، وفيها تعليق الوقوع في الكفر على تصرف غيره، مع أن الإنسان مسؤول عن لسانه، وقد تدل على أن سب الدين أصبح عنده عادة جاهزة عند الغضب.

والواجب أن يقول بدلاً منها: «لا تزدي غضباً»، «اتركني حتى أهدأ»، «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، «لن أتكلم وأنا غاضب».

ولا يجوز له أن يُحمّل خصمه مسؤولية ما ينطق به؛ فلا أحد يجبره على سب الله أو الدين.

والله أعلى وأعلم

السؤال الخامس: يقول أحدهم: «شوي وبطلع من ديني»، فما حكم ذلك؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه العبارة خطيرة جداً، وقائلها عاصٍ مرتكبٌ للكبيرة.

فإن قصد بها أنه سيترك الإسلام فعلاً؛ كأن يكون عازماً حقيقةً على الخروج من الدين، أو راضياً بالكفر، أو متردداً هل يبقى مسلماً أو يترك الإسلام؛ فهذا أمر بالغ الخطورة؛ لأن العزم الحقيقي على قطع الإسلام يناقض الإيمان.

ونقل الفقهاء أن من عزم على الكفر في المستقبل، أو تردد فيه كفر في الحال؛ لأن الإسلام يقتضي الجزم به، وعدم التردد في أصله.

وإن قالها على سبيل التهديد الغاضب، أي يقصد: «أخشى أن أتلفظ بكلام كفري»، ولا يقصد الخروج الحقيقي من الإسلام؛ فهذه العبارة لا يُحكم بكفر قائلها بمجرد الاحتمال، لكنها محرمة وقبيحة، والواجب على المسلم أن ينزه لسانه عن مثل هذه الألفاظ.

والله أعلى وأعلم

السؤال السادس: بعض الناس يمازح قائلاً: «يلعن تينك»، ليقصد إيهام السامع أنه سيسب الدين، فما حكمه؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فمثل هذا المزاح لا يجوز، وإن لم يكن اللفظ نفسه سباً للدين؛ لأنه يعتمد إيهام الناس بأنه سيتلفظ بالكفر، ويجعل ألفاظ الردة موضع ضحك، ويعوّد اللسان والقلب على الاقتراب من المحرمات، وتذهب

هيبتها من القلب، وقد يوقع السامع في سوء الظن والفتنة، وقد ينقلب المزاح مع التكرار إلى لفظ صريح.

ولا يُحكم عليه بالكفر لمجرد قوله: «يلعن تينك»؛ لأن اللفظ متعلق بالتين بحسب ظاهره، وليس سباً لله أو للدين، ولكن تعمد إيهام الكفر مزاح فاسد وسلوك محرّم يجب إنكاره.

والاستهزاء المحرم ليس مقتصرًا على التلفظ الصريح؛ فقد يكون في الإشارة والمحاكاة والتلميح، لكن لا يُحكم بالكفر إلا بعد معرفة حقيقة الكلام والقصد، ولا يكفر المسلم بالعبارات المحتملة من غير تصريح بالمعنى الكفري.

والله أعلى وأعلم

السؤال السابع: هل ألفاظ الكفر مقتصرة على ألفاظ معينة؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فليست ألفاظ الكفر محصورة في قائمة محددة؛ لأنها تختلف باختلاف اللغات، واللهجات، والأعراف، والسياق، والمقصود باللفظ.

ولكنها ترجع إلى معانٍ كبرى، منها:

١. سب الله تعالى.

٢. سب النبي ﷺ.

٣. سب القرآن أو الاستهزاء به.

٤. سب دين الإسلام نفسه.
 ٥. إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة عن علم وعناد.
 ٦. الاستهزاء بشعيرة من شعائر الإسلام لأنها من الدين.
 ٧. تفضيل الكفر على الإسلام والرضا به.
 ٨. نسبة النقص أو الظلم أو الجهل إلى الله تعالى.
 ٩. إعلان رفض عبادة الله أو الخروج من الإسلام.
 ١٠. السخرية من الجنة أو النار أو البعث أو الصلاة من حيث كونها شريعة الله.
- وهناك عبارات صريحة لا تحتل إلا الكفر، وعبارات ظاهرة تحتاج إلى معرفة السياق، وعبارات محتملة لا يجوز التكفير بها، وعبارات محرمة أو قبيحة، لكنها لا تبلغ الكفر.
- ومن القواعد المهمة: ليس كل لفظ محرّم كفرًا، وليس كل لفظ قبيح ردةً، كما أن الحكم على العبارة لا يعني التسرع في الحكم على الشخص، بل هناك ضوابط للحكم على المعين، بحيث تتحقق الشروط، وتنتفي الموانع.

والله أعلى وأعلم

السؤال الثامن: ما حكم قول: «يلعن من صنعك» أو «من صفك» أو «من سكبك»؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه العبارات يجب منعها؛ لأنها تحمل معاني خطيرة.

قول: «يلعن من صنعك» الإنسان لم يصنعه بشر، وإنما خلقه الله تعالى؛ فإذا قصد القائل بعبارته «من صنعك» الله تعالى، فقد وجه اللعن إلى الله، وهذا سب صريح وكفر عظيم.

أما إذا كان يقصد بالصانع مثلاً من صنع آلة أو سيارة أو جهازاً، فليس المقصود الله، لكنه يكون قد لعن إنساناً، واللعن محرم بغير حق.

وإذا كانت العبارة موجهة إلى إنسان، لكن القائل يقصد أباه أو أمه أو من رباه، فهي سب ولعن محرمان، وليست كفرًا بمجرد ذلك.

وقول: «يلعن من صقك» أو «من سكبك» ألفاظ عامة يختلف معناها بحسب البلد والسياق: فقد يقصد بها من رباه أو علمه، وقد يقصد بها أباه أو أمه، وقد تكون تلميحاً خبيثاً إلى الخالق سبحانه.

ولهذا لا يجوز أن نبادر بتكفير قائلها قبل معرفة مراده، لكن يجب منعه منها؛ لأنها لفظ قبيح يحتمل التعدي على مقام الله تعالى.

والله أعلى وأعلم

السؤال التاسع: يقول أحدهم لأخيه: «لو خلقك الله دابة أو حمارًا لكان أفضل»،
أليس هذا اعتراضًا على حكمة الله؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه العبارة شديدة القبح والحرمة؛ لما فيها من:

❖ إهانة المسلم.

❖ السخرية من خلق الله.

❖ احتقار الإنسان الذي كرمه الله.

❖ سوء الأدب في نسبة الخلق إلى الله بهذه الطريقة.

❖ احتمال تضمنها اعتراضًا على حكمة الله، بحسب قصد القائل.

لكن لا نحكم عليها بالكفر في كل حالة دون تفصيل.

فإن كان مراده مجرد الشتم أي يقصد: «أنت سيئ الأخلاق، ولو كنت حيواناً لكان خيراً»، فهذا سب وإثم عظيم وسوء أدب، ولا يلزم منه الكفر، ما دام لا يعترض على حكمة الله ولا ينسب الخطأ إليه.

وإن كان مراده الاعتراض على الله كأن يقصد أن الله أخطأ في خلق هذا الإنسان، أو أن فعل الله ليس حكيماً، أو أن الله كان ينبغي أن يخلقه على صورة أخرى؛ فهذا معنى كفري؛ لأنه يتضمن انتقاص حكمة الله والاعتراض على خلقه.

والأولى أن يقال للمخطئ: «اتق الله، وأصلح أخلاقك»، ولا يجوز تحويل النصيحة إلى اعتراض على الخلق.

والله أعلى وأعلم

الرسالة الرابعة: الاعتراض على قدر الله، والاستهزاء بالدين

انتشرت في بعض مجموعات التواصل الاجتماعي تعليقاتٌ يرّدد فيها بعضُ الأشخاص عباراتٍ مثل: «أين الله مما يجري للأطفال؟ وهل الله لا يرى ما يحدث لنا؟»، كما يعمد آخرون إلى الاستهزاء بالدين وبالمسلمين، ويطلقون عباراتٍ من قبيل: «الكافر أو الدرزي أفضل من المسلم السني»، ونحو ذلك من الألفاظ المسيئة.

فما حكم هذه الأقوال في الشريعة الإسلامية؟ وما حكم الاستهزاء بالدين أو بالمسلمين؟ وما مسؤولية منشئ المجموعة أو مديرها إذا سمح بنشر مثل هذه العبارات، أو لم يقم بحذفها مع قدرته على ذلك؟

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فالجواب عن ذلك، فيما يأتي:

♦ أولاً

يجب على المسلم أن يُعظّم الله تعالى، وأن يُنزهه عن كل نقص، وأن يحسن الظنَّ به سبحانه؛ فهو العليم الحكيم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يقع في ملكه شيء إلا بعلمه وحكمته:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

فمن قال: «أين الله مما يجري؟» أو: «ألا يرى الله ما يحدث؟»، فإن كان يقصد بذلك الاعتراض على قضاء الله تعالى، أو الطعن في حكمته وعدله، أو التسخط على أفعاله سبحانه، فهذا من أخطر الأقوال، وقد يبلغ بصاحبه الكفر؛ لما يتضمنه من الاعتراض على الله تعالى وسوء الظن به.

أما إن صدر هذا اللفظ من جاهل، أو من شدة الحزن والذهول، من غير قصد الاعتراض على الله تعالى، فهو قولٌ محرم، وسوء أدب مع الله عز وجل، يجب على قائله أن يتوب إلى الله تعالى، وأن يستغفره، وأن يحذر من إطلاق مثل هذه العبارات، وأن يضبط لسانه عند نزول البلاء، فإن المؤمن يؤمر بالصبر والرضا، وحسن الظن بالله تعالى.

◆ ثانيًا

الاستهزاء بالله تعالى، أو بآياته، أو برسوله ﷺ، أو بشيء من دين الإسلام، من أعظم الجرائم وأشدّها خطرًا، وهو كفر أكبر إذا كان عن علم واختيار:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

ولا يجوز لمسلم أن يجعل الدين أو شعائره أو أهله موضع سخرية أو استهزاء، فإن ذلك ينافي تعظيم الله تعالى وتعظيم شرعه.

◆ ثالثاً

أما قول بعض الناس: «الكافر أو الدرزي أفضل من المسلم السني»، فهذه عبارة مجملّة تحتمل أكثر من معنى؛ فإن قصد بها تفضيل الكفر على الإسلام، أو احتقار الإسلام وأهله، أو أن دين الكافر خير من دين المسلمين، فهذا كفر وردة عن الإسلام.

أما إن قصد أن شخصاً كافراً يتحلى في معاملة معينة بصدق أو أمانة أو انضباط أكثر من شخص مسلم فاسق، فلا يُعد ذلك تفضيلاً للكفر على الإسلام، وإن كانت العبارة موهمة، وفيها إساءة، والواجب العدول عنها إلى ألفاظ واضحة لا تحتمل الباطل.

◆ رابعاً

يجب على منشئ المجموعة أو مديرها أن يمنع نشر ما فيه استهزاء بالله تعالى أو بدينه أو برسوله ﷺ أو بشعائر الإسلام، وأن يحذف تلك المشاركات، وأن ينصح أصحابها، ويمنع تكرارها بحسب استطاعته؛ لأن ذلك من إنكار المنكر الواجب.

«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ

أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [مسلم: ٤٩]

وأوصي المسلمون بتقوى الله تعالى، وتعظيمه، وتعظيم دينه وشعائره، وحفظ ألسنتهم عند الفتن والمصائب، فإن البلاء لا يبيح الاعتراض على الله تعالى، ولا يسوغ الاستهزاء بدينه، بل الواجب الصبر، والرضا بقضائه، والإكثار من الدعاء، وبذل الأسباب المشروعة لنصرة المظلومين، مع اليقين بأن الله

تعالى لا يظلم أحداً، وأنه سبحانه يمهّل ولا يهمل، وسيقتص للمظلومين يوم القيامة، ولن يضيع عنده حق أحد:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

والله أعلى وأعلم

الرسالة الخامسة: رسائل عملية للفرد والأسرة ولأصحاب المجموعات الإلكترونية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

أولاً: رسائل عملية للفرد

◆ الرسالة الأولى: الكفر ليس وسيلةً لتفريغ الغضب

الغضب لا يبيح سبَّ الله أو الدين. عندما تغضب: اسكت، غادر المكان، توضأ، اجلس إن كنت قائماً، استعذ بالله من الشيطان، ولا تمسك الهاتف ولا تكتب تعليقاً.

◆ الرسالة الثانية: لا تجعل الدين مادةً للمزاح

لا تقل كلاماً يوهم السامعين أنك ستكفر، ثم تضحك وتقول: «كنت أمزح»، فحدود الله ليست مادةً للنكات.

◆ الرسالة الثالثة: لا تقلد الألفاظ الدارجة بين الناس

بعض الألفاظ تنتقل بالتقليد، ثم تصبح عادة، وقد يتكلم الإنسان بكلمة لا يقدر خطرهما، فيهوي بها في النار.

◆ الرسالة الرابعة: اقطع تسجيلات ومقاطع الاستهزاء

لا تعجب بها، ولا ترسلها، ولا تحفظها بقصد التسلية؛ لأن نشر المنكر إعانة عليه.

◆ الرسالة الخامسة: لا تكفر الناس بنفسك

أنكر العبارة وبيّن خطرها، لكن لا تدخل في أحكام الأشخاص والأنكحة والمواريث والدماء. قل: «هذا القول كفر»، ولا تتعجل فتقول عن كل شخص: «فلان كافر»، حتى يُرجع إلى أهل العلم.

ثانيًا: رسائل عملية للأسرة

ينبغي للأسرة أن تتفق على قواعد واضحة:

١. ممنوع سب الدين والرب منعًا قاطعًا.
 ٢. ممنوع المزاح بالفاظ الكفر.
 ٣. ممنوع اللعن داخل البيت.
 ٤. من يغضب يخرج حتى يهدأ.
 ٥. لا يضحك أحد عند سماع لفظ منكر.
 ٦. يُعلّم الطفل البدائل الشرعية عند الغضب.
 ٧. لا يُكتفى بالصراخ والضرب؛ بل يُشرح للولد سبب خطورة هذه الكلمات.
- إن تكرر الأمر من أحد أفراد الأسرة، يُعالج سبب الغضب والإدمان اللفظي، ويُعرض على عالم موثوق، وقد يحتاج إلى مختص نفسي إن كان فاقداً للسيطرة بصورة مرضية.

ثالثًا: رسائل عملية لأصحاب المجموعات الإلكترونية

من أنشأ مجموعة أو أدارها لا يحمل تلقائيًا كلّ ذنب يصدر عن الأعضاء، لكنه يتحمل المسؤولية بقدر علمه وقدرته وتفريطه.

فإذا نُشر سب لله أو للدين أو استهزاء بالإسلام، فعليه أن:

١. يحذف المنشور أو التعليق.

٢. ينبّه صاحبه.

٣. يمنع تكرار ذلك.

٤. يُخرج مَنْ يُصِرُّ عليه.

٥. يغلق التعليقات مؤقتاً عند الحاجة.

٦. يضع سياسة واضحة تمنع الإساءة للدين.

٧. لا يسمح بتحويل المجموعة إلى مكان لترويج الكفر والاستهزاء.

أما أن يرى السبّ والاستهزاء ويسكت، أو يبقيه لجذب التفاعل، أو يضحك عليه، أو يدافع عن صاحبه، فهذا منكر عظيم، وقد يكون شريكاً في الإثم بحسب رضاه وإعانتته:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [النساء: ١٤٠]

ولا يكفي أن يكتب مدير المجموعة: «أنا غير مسؤول عما يُنشر»، ثم يترك المنكر وهو قادر على حذفه؛ فالتنصل الكتابي لا يرفع عنه مسؤولية التفريط.

والله أعلى وأعلم